

الاختلاف، جوهر التواصل بين الناس و أساس تفتيح وعي النفس

كل مخلوق او شيء في الكون هو جزء من كل يتواصل ليتفاعل معه، فالتواصل هو عصب الحياة والوجود...

التواصل هو تواصل الوعي الانساني مع الاشخاص والموجودات على الارض، في النظام وفي الكون. فالانسان، كما توضح علوم باطن الانسان - علوم الايزوتيريك، هو تجسيد الوعي في نظام الحياة، وهو تعبير الوعي الفردي عن كيان الفرد وعمما يمثله كشخصية لها دورها في المجتمع وفي نطاق العمل... فالتواصل هو تمرير المعرفة او الحركة من محور الى آخر، سواء عبر الجسد او بين شخص وآخر، بالتالي هو ترجمة فعل الحياة في الفرد داخل نطاق الكل الذي يحويه... ولعل ائمة فلاسفة الاغريق، هم اعرق من ترجم المعرفة الى اعمال خالدة وصلت الى الاجيال من بعدهم، على امتداد آلاف السنين...

المعرفة، الوعي، التواصل، ثلاثية تعبر عن الكيان الانساني تماما كما ويعبر هذا الكيان عنها في اوجه تفاعله، ففي ضوء علوم باطن الانسان يتكشف لنا ان المعرفة هي مصدر الوعي، والوعي هو اساس اللامادة (او الذبذبة)، واللامادة هي اساس تكوين المادة في الكون والنظام والانسان. وجميعها تتفاعل من خلال التواصل لتحقيق توسع المعرفة والوعي، في «اقطاب» الكون وصولا الى عالم المادة... فعلى مستوى الكيان الانساني، اللامادة تتمثل بابعاد الوعي التي لا ترى بالعين المجردة، كالصحة او الهالة الاثيرية، ثم المشاعر والفكر في النفس البشرية. الى جانب ابعاد اخرى ارقى واشف منها تؤلف الذات الانسانية، اما المادة، فتتمثل في الجسد.

هذا التكوين المادي واللامادي للكائن البشري، ادى الى نشوء ازواجية الظاهر والباطن في الانسان، فالفكر والمشاعر هما ابعاد وعي باطنية لا نستشرفها في الآخر ما لم يعبر عنها في التصرف او الكلام او الاداء. من هنا تركزت جذور التواصل الانساني في اللامادة كتعبير عن ابعاد وعي الكيان غير الظاهرة او غير المنظرة، وهذا ما تلاحظه في الحياة اليومية بحيث يتركز التواصل في التعبير عما يعتنق في الفكر والمشاعر على حد سواء... اما الجسد - ممثل المادة في الكيان الانساني - فهو «النافذة» التي تطل منها هذه الابعاد على العالم المحسوس لتحقيق التواصل... التواصل هو اساسا تواصل المعرفة.

فكل معرفة، كل معلومة، وكل وعي جديد يكتسبه الفكر، انما هو يكتسبه بفعل التواصل. هذا وتحقيق الاكتساب يعني «دخول» وعي جديد الى النفس لم يكن فيها اصلا، اي «دخول» شيء جديد، شيء مختلف ذلك يوضح ان وجود الاختلاف مسألة جوهرية في تحقيق التواصل، ولكن لادخال اي شيء جديد ومختلف الى حيز وعي النفس، يجب تحقيق الانفتاح او لاعلى هذا الجديد وعلى الاختلاف نفسه.. لكن النفس عامة لا تستسيغ ما يختلف عنها، ما يؤدي الى الاختلاف في وجهات النظر، او حتى الى نشوب الخلافات بين الافراد في الحياة اليومية. وهذا ما يؤثر سلبا في التواصل، وبالتالي في مقدرة النفس على اكتساب معرفة جديدة. انطلاقا مما تقدم يتضح لنا ان الانغلاق وعدم تقبل الاختلاف يعزز الانا في النفس ويجعلنا نركز على اخطاء الآخرين او سلبياتهم، لاعلى ما يمكن ان نتعلمه من تواصلنا معهم ومن وجودهم في حياتنا هذا وتركيزنا على اخطائهم يجعلنا تتغاضي عن اخطائنا وسلبياتنا فننسى انها موجودة فينا ايضا، ونبتعد بالتالي عن الموضوعية والتجرد في التعامل الحياتي اليومي، ما يجعلنا لا ننتبه الى اخطائنا الا بعد مرور زمن عليها، او اذا ما استوقفنا احدهم معترضنا على تعاملنا او تصرفنا حياله... ان السلوك الايجابي اساس التواصل، والسلوك الايجابي لا يعني المجاملة والدبلوماسية في التعامل مع الآخرين، بل يعني الانفتاح على الاختلاف، وتقدير ما لدى الآخر، فذلك يؤدي الى تسريع التعلم، لابل الى تسريع زمن الوعي في النفس، اي تسريع آلية اكتساب النفس للمعرفة. فالذهن في هذه الحال ينصرف الى العمل البناء، بدل الانشغال في الحكم على الاخر والاختلاف معه او تعبئة النفس بسلبيات جديدة...

المبادئ نفسها تنطبق على التواصل بين المرأة والرجل. فمن اهم منغصات الحب، عدم الدراية في شؤون وسبل التواصل بين الجنسين، وعدم النجاح في ايجاد اللغة التي تؤثر في الشريك ايجابا، وتعتبر عما يعتمر في النفس. هذا والمشكلة ان كلا الطرفين يعزو ذلك الى الاختلاف بينهما، في حين ان المشكلة تكمن في الانغلاق على الآخر. فالانفتاح الحق يحول الاختلاف الى غنى وتنوع، والى آفاق لامتناهية للتعلم والتبادل المعرفي والارتقاء في الوعي... في كل نفس بشرية هناك صفات سلبية

واخرى ايجابية، وتحقيق التواصل يعني تغليب كل ايجابي في النفس على السلبي فيها، والعكس صحيح، هذا ويكفي التفكير في التواصل الرائع الذي تحققة اعضاء الجسد - المختلفة - لتحقيق الحياة فيه... فالتواصل ضرورة حياتية، والاختلاف عصب التواصل. فعلى سبيل المثال، عندما نقطع علاقتنا باحد ما، يؤثر ذلك سلبا فينا وعبا او لاوعيا منا. والعكس صحيح. فقطع العلاقة ينتج عنه احساس سلبي نعتقد اننا ننساه مع الزمن، ولكنه يبقى محفورا في النفس لبديل اننا ما ان نرى الشخص الذي قطعنا علاقتنا به حتى يستفز اللقاء المشاعر والافكار السلبية كافة التي رافقت ظروف قطع العلاقة... اما ان نحن حققنا انسيابية التواصل الصادق مع الآخر، فان لقاءنا للشخص الذي حققنا ذلك معه يجلب لنا على الاقل البسمة، والذكرى الصافية التي تترك في النفس اثرا ايجابيا يعزز فيها الراحة الداخلية... فجل ما ينشده المرء، كل مرء في حياته، هو الراحة الداخلية والاستقرار والسعادة. وجميعها عبارة عن حالات متنوعة تحققها النفس، والقاسم المشترك بين هذه الحالات هو الايجابية في التعامل مع النفس ومع الآخر. والتواصل هو الوسيلة لتحقيق ذلك، لابل الوسيلة لتعلم كيفية تحقيق ذلك، والارتقاء في هذا التعلم كلما تقدمنا في العمر.

الانفتاح على الاختلاف لتعزيز التواصل، يجعلنا نرتقي في التعبير عن انفسنا، كما يجعلنا نبني الجسور في علاقاتنا مع الآخرين التي ترتقي بنا وترفع مستوى وعينا الحياتي في اطر العمل والحياة الخاصة والاجتماعية... ومن لا يشتهي ان يرتقي فيها مجتمعة لرفع مستوى النفس بالمعرفة التطبيقية، العملية؟!؟

ان المقدرة على تحقيق التواصل تتمحور حول مستوى الانسجام الداخلي في النفس، وتحقيق الانسجام يتمحور حول الانفتاح على كل جديد واستيعابه، بعد فهم اهمية وجوده، والانفتاح على الجديد يعني وعي حقيقة ان الاختلاف في عالم المادة هو اساس الارتقاء في الوعي، لانه انعكاس لحقيقة كبرى حقيقة ان الوحدة هي مجموعة اجزاء... متجانسة...

هيفاء العرب
الإمارات العربية